

السلطة الروحية للزوايا ودعائهم بالجزائر

د. غربي محمد / مخبر الجزائر تاريخ و مجتمع

جامعة جيلالي لياس - سيدي بلعباس

gherbi2@hotmail.fr

تاريخ الإرسال: 2018/02/07؛ تاريخ القبول: 2018/06/19

Résumé :

Les Ottomans s'approchèrent de la population et les Almoravides, on leur laissant des initiatives individuelles dans le domaine de la culture et leur accordant de nombreux privilèges et pouvoirs, ce qui fit de l'Almoravide une référence indépendante parallèle à l'institution de la jurisprudence de l'Autorité.

Mots clé :

Institution sociale ; Stabilité psychologique ; Éducation ; Zakat ; Almoravide ; Soufisme ; Karamat ; Obéissance ; Loyauté ; Al-Bayt ; Influence ; Confrérie ; Maraboutisme ; Pouvoir officiel

الملخص:

لم يقف العثمانيون يوما في وجه الثقافة في الجزائر، بل تركوها للمبادرات الفردية. لذلك تقربوا من السكان والمرابطين، ومنحوهم امتيازات وصلاحيات عديدة، وهو ما جعل المرابطين يؤسسون لرجعية مستقلة موازية للمؤسسة الفقهية التابعة للسلطة. و يؤسسون فكريا صوفيا شعبيا أصبح مكونا ضروريا في توازن المجتمع الجزائري.

الكلمات المفتاحية :

الزوايا؛ المؤسسة الاجتماعية؛ الاستقرار النفسي؛ التعليم؛ الزكاة؛ المرید؛ المرابط؛ التصوف؛ القضاء؛ البركة؛ الطاعة؛ الكرامة؛ الخدمة؛ الولاء؛ آل البيت؛ النفوذ؛ السلطة الرسمية.

تمهيد

إن البحث في عالم الزوايا والمرابطين فرض علينا عدة تساؤلات لعل أهمها: ما هي الاستراتيجية التوسعية التي اعتمدها المرابطون كشكل من أشكال الدعاية؟⁽¹⁾، وهل نجحت الوظائف المؤسساتية للزوايا في الاحتواء الروحي للمجتمع الجزائري؟ وكيف ومن كان يؤسس للآخر: الكرامة؟ النسب؟ أم الزاوية؟.

وظائف الزوايا

1 - الوظيفة الاجتماعية للزوايا: اعتبرت الزاوية أو الرياط⁽²⁾ ❖ على مر الزمن مركزا لتحقيق الغرض التعليمي الذي أنشئت من أجله⁽³⁾ المتمثل في حفظ القرآن، والتأليف، والنسخ، والنقل، وإحياء الأجواء الاحتفالية والمناسبات والزيارات⁽⁴⁾ كالمولد النبوي الشريف، ووفاته، ولبلة القدر، والإسراء والمعراج، وعاشوراء، وعيد الفطر وعيد الأضحى وختم البخاري، والاحتفالات الخاصة بموسم الحج وإلقاء القصائد والمقطعات والموشحات في محمد ρ، خصوصا بردة الإمام البوصيري وهمزيتها⁽⁵⁾. يأتي إليها أعداد كبيرة من بعيد إلى أن تحولت إلى "مشروع اجتماعي اشترك فيه كل السكان...إنه مشروع حضاري بأتم معنى لكلمة. وقد شهد الباحثون الأجانب على أن كل سكان كل قرية كانوا يتنافسون على تكون زاويتهم أجمل وأنظفها... ولذلك أنشؤوا لتلك الزوايا نظاما تعليميا دقيقا تعجز عنه بعض الوزارات في الأنظمة الأخرى"⁽⁶⁾.

حولت الزاوية إلى سلاح لا تقل خطورته عن البندقية⁽⁷⁾ باعتباره مؤسسة اجتماعية، أو "مؤسسات جيش الخلاص"⁽⁸⁾ قريبة من الواقع المعيش، وحاضنة لمشاغل وهموم الأمة، وموحدة لصفوف المجتمع، ومهيأة للاستقرار النفسي والخلقي لمريديها. تؤدي خدمات متعددة وحيوية مميزة بفضل مكانتها المقدسة ومواردها الاقتصادية. تجذب المريدين وتدعوهم للانخراط في صفوفها، وتجمع فيها الصدقات والأموال والثروات، وزكاة القمح والشعير والذرة، والزيارات المتمثلة في التين والزيتون والزبيب والعسل والدجاج والماعز⁽⁹⁾. وتبرعات المسافرين الذين ينزلون بها، والهدايا، والقرايين و المحاصيل الناتجة عن القطيع والعقارات⁽¹⁰⁾ المحبسة عليها التي تستثمرها للوفاء بهذه الالتزامات ولتغطية الخدمات المجانية، الخاصة بالقاصدين⁽¹¹⁾ من الطلبة والفقراء والمساكين وأبناء السبيل⁽¹²⁾. لذا أضحت الإطعام ملازما لها وميزة عامة لحياة روادها وسلوكا صوفيا يحتذي به المريد بعد شيخه، حتى بلغ الأمر درجة اعتبر فيها الإطعام

رمزا لكرامة صاحبها⁽¹³⁾، تمنحه سلطة رمزية بسبب كثرة المستفيدين منه، خصوصا في مجتمعات عانت من النقص في الإنتاج وتوالي الأزمات. وهذا ما عبر عنه أبو العباس أحمد بن الحسين القسنطيني الشهير بابن قنفذ حين قال: "طلبنا التوفيق، فوجدناه في إطعام الطعام"⁽¹⁴⁾.

إن الدعائم الأساسية لقيام الزاوية لم تخرج عن ضرورات الحياة الفعلية، فالزاوية ظلت منذ ظهورها تحمل هموم المجتمع الجزائري⁽¹⁵⁾، وتحافظ على تقاليده وعاداته من الذوبان والتبدد⁽¹⁶⁾، وتنسج الروابط الاجتماعية والنزعة الجماعية، وترسي قواعد التسامح والأخوة والتضامن، والاعتراف الجماعي بالآخرين، والامتثال لشرع الله⁽¹⁷⁾ النابع من النفس والقلب، لأنهما مدار الصلاح أو الفساد، مصداقا لقوله تعالى: "إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ"⁽¹⁸⁾، وتجاوز القيود الوراثية. فالمرید وهو يقتدي بشيخه ويرتبط به ويفزع إليه هربا من الدنيا، يستبدل حدود القرية بالأماكن الشاسعة المقدسة في الجزائر، وهو على يقين مطلق ونفس مطمئنة بأنه سيجد إمكانية الاستفادة من بنية الاستقبال في كل مكان. لأنها مركزا حرما ومأمنا مقدسا ومستشفى للإبراء من سقم جسماني⁽¹⁹⁾ للمرضى والعجزة والميؤوس من شفائهم الذين يتوجهون لزيارة الولي. لأن الحكمة كما يقول العامة من الناس، قد تكون في رفاتة أو عقبه أو في الشجر أو في الحجر المحيط بضريحه، والدواء أصله من التراب.

تعددت فترات زيارة المرضى للمقام، فمنهم من يذهب ويبقى فترة للمبيت⁽²⁰⁾ ثم يعود. و قد توصف بعض الوصفات الشعبية للشفاء من علتهم، مثل آيات القرآن، والتمايم، والأحجبة، والأوراد، والأذكار حيث كان لكل داء آية. فكان البعض منهم يخلط ما كتب من الآيات القرآنية مع أعضاء حيوانية كقلب الغراب، أو شحم الذئب⁽²¹⁾. ومنهم من ذهب إلى أبعد من ذلك بادعائه شفاء امرأة من جرح أعى الأطباء بالغائط والبول والكلام البذيء الذي وجهه لها⁽²²⁾.

2 - وظيفة القضاء: تعتبر الزاوية البقعة الطاهرة، حرماً، وملجأ، ومأوى قار ودافئ لكل معتصم⁽²³⁾ من مختلف الفئات والشرائح الاجتماعية المهمشة، المظلومة والمقهورة التي تعاني من إكراهات الوسط الاجتماعي مثل الفقراء والمساكين والمعوقين والأرامل والأيتام. ونزلا لعبري السبيل والمحتاجين⁽²⁴⁾ والعجزة والغرباء. يجدون فيها الأمن والحماية⁽²⁵⁾، والقوة التي تنصرهم على الشر وترجع لهم الحق المهضوم، وقبلة لفض

الصراعات والتناحرات القبلية والسياسية، والخلافات والخصومات والنزاعات⁽²⁶⁾ سواء مع ممثلي السلطة⁽²⁷⁾ أو في قضايا ذات الطبيعة التجارية والأحوال الشخصية وقضايا الجنايات والخلافات على الأراضي، وإصلاح ذات البين بين الناس وإطفاء نار الفتنة وحقق الدماء، والتأليف بين القلوب المتنافرة⁽²⁸⁾. وقد أثارت هذه الوظائف انتباه الكاتب الفرنسي "ليهرو ليون" الذي أكد بأنها كانت "مقرا للمقضاء فهي تختص في الفصل في القضايا المدنية والجنائية، حيث كانت تحل من قبل الشيخ بحكم مكانته العلمية ونسيج علاقاته الاجتماعية، وما هو مشهود عنه من عدل وحكمة وعلم"⁽²⁹⁾، وكلمة مسموعة وقرارات نافذة⁽³⁰⁾. ويكون فصله إما بالصلح والتراضي أو بالتعويض أو الفدية. بل وكان غالبا ما يسهر على مراقبة الأمن في الأسواق⁽³¹⁾ وحماية المحاصيل من السرقة⁽³²⁾، والقيام بدور وظيفة صاحب الشرطة ليسترجع الناس ما سرق منهم، وأحيانا يقيم الواحد منهم بالأماكن المخيفة لتأمين السبل⁽³³⁾. وقد كان رفض قرار وحكم وإرادة الشيخ أو المرابط يؤدي إلى البلاء، والعقاب السماوي⁽³⁴⁾، واللعنة الأبدية.

إن سلطة الشريف (المرابط/شيخ الزاوية)، صاحب السلطتين الدينية والمدنيوية⁽³⁵⁾، التي لا يستدمهما من الأعراف القبلية أو القانون العرفي كما هو الشأن بالنسبة لشيخ القبيلة، بل بما يحمله من صفات العلم، والمعرفة، والحكمة، والعدل، والرحمة، والقوة المتصلة بالله. هنا بالذات تأتي قيمة (البركة الطاعة، الخدمة والولاء)، التي اعتبرناها بمثابة البنية التحتية لهذه السلطة- (الروحية/الرمزية) التي تعتمد على مرجعيات شكلت بالنسبة لتنظيم الزاوية، الأساس والامتياز الروحي المتجذر والمتين في بناء التنظيم، وفي سيرورة تبلور وتطور السلطة من داخله. ونعني هنا بالطبع القائمة على فكرة الانتساب إلى آل البيت⁽³⁶⁾ لإضفاء شرعية النسب على شيوخها وتثبيت ارتباط مجالها القبلي بالشرع الذي يُرغم كل الأطراف على الإذعان لقراراتها وسلطتها إما رغبة أو رهبة⁽³⁷⁾.

إن وظيفة التحكيم هي من الوظائف التي استوقفت نظر الأنثروبولوجيين، مما جعلهم يعملون على تشخيصها وضبط آلياتها إلى حد اعتبارها الوظيفة الأكثر فاعلية في أدوار الزاوية، باعتبار أثرها السياسي والمكاسب المترتبة عليه من حيث فرص الامتداد. فظاهريا، يبدو تحكيم المرابط شيئا مألوفا في المجتمع الجزائري القائم على قاعدة التمايز القبلي بسبب مكانته ضمن الهرم الاجتماعي العام، ودوره الذي كان مرغوبا فيه من طرف كل مكونات هذا المجتمع. لكن واقع الحال أحيانا، لم يكن

ليقصي المرابط ومؤسسته الدينية من المغامرة السياسية أو الانحياز، وهذا ما يضع مسألة حياده - المرابط - موضع الشك والتساؤل. فقد أثبتت التجارب⁽³⁸⁾ تورط العديد من المرابطين في مغامرات سياسية من أجل تثبيت سلطة زواياهم الدنيوية وسعيهم لتحويل رأسمالها الرمزي إلى فعل سياسي مؤسس ضمن مستويين اثنين: أ - محلي: يتمثل في نشاط المرابط/الولي لتكوين شبكة من الموالين والأتباع، يلتزمون بالحياد⁽³⁹⁾ إزاء الصراعات المحلية لكسب الأنصار. وفيه يكون التحكيم من أهم الوظائف التي يباشرونها، وتشكل المسألة أبرز سمات الصلاح.

ب - جهوي أو وطني: يخوض فيه المرابط مغامرة على نطاق واسع، حيث يتم التخلي عن وظيفة التحكيم التي تصبح ثانوية⁽⁴⁰⁾. ويعزو هذا التحول إلى الالتباس الموجود بين القداسة والسياسية، الذي يستغله المرابط استغلالا ذكيا، يجعله يباشر الدعوة ليخوض بعد ذلك مغامرة النفوذ والسلطة. وبالتالي تبدو وظيفة التحكيم المبني على قاعدة الحياد أمرا نسبيا، بل هناك من جردها حتى من طابعها الرمزي المعترف به من المجتمع وجعلها مجرد استعانة، إما من جهة القبائل أو من جهة الإدارة/السلطة⁽⁴¹⁾.

3 - الوظيفة السياسية: انتهت الزاوية الجزائرية عبر تطور وظائفها المختلفة، إلى أن تصبح مكونا ضروريا في توازن المجتمع الجزائري المحكوم بهاجس الأوهام والإيمان الخادع المعطل⁽⁴²⁾، والتبرك و"الزيارة" وكرامة الشيخ وطقوس العطاءات المادية والرباط الروحي والأخلاقي والقدسي التي تمتع به المرابطون. وما تنشده السلطة الرسمية من استقرار سياسي واجتماعي مما سيجعل الأدوار السياسية للمرابطين تظل مطلوبة بكل ملابساتها المختلفة، وتبدو وكأنها أشبه بالأحزاب السياسية⁽⁴³⁾ بلبوس آخر تحول فيه المرابطون إلى مناضلين، ومزيجا عجيبا يكتنز تراثا صوفيا وأداة سياسية تعززها مبررات التقديس الروحية والاجتماعية والثقافية والاقتصادية، لدرجة أنها أصبحت في الاعتقاد الشعبي سلطة لا تنازعها في ممارستها أي سلطة أخرى مهما كان وزنها أو تأثيرها. بل وصارت "مشروع دولة مثالية دائمة الوجود"⁽⁴⁴⁾ أو "تمثل حقيقي للنظام القبلي" وكيانات سياسية تمارس العرف في غياب سلطة الشرع، أعطى لدور المرابط تشكيلا متجددا وجعل من مؤسسته مكونا من مكونات الدولة. وهو ما أفضى في النهاية إلى حاجة السلطة الرسمية لهذا الجهاز الذي أصبح يمثل الوسيط بين الحاكم والقاعدة والمريد⁽⁴⁵⁾، لأنه نجح في التجذر على المستوى الشعبي (العروش

والقبائل)، وتمكن من إحداث قطيعة بين البنى الاجتماعية القبلية القديمة، والبنى الاجتماعية الناشئة حديثا على أنقاضها، وأحدث انسجاما بين هذه الأخيرة وبين المؤسسة الطرقية، دون أن يحدث أي تصادم في ولاء الأفراد وانتمائهم للطريقة الصوفية الدينية المستمدة من الكرامة الصوفية والنسب الشريف، وانتمائهم إلى مجموعة بشرية قبلية.

ونتيجة لظهور هذه السلطة الروحية، تمتع المجتمع الجزائري في ظلها بمساحة من الاطمئنان والعدل، والاستقرار النفسي والخلقي والملاذ الأخير⁽⁴⁶⁾. واتخذ من شيوخها المرابطين قادة له بدلا من الحكام المدنيين وقضاتهم الرسميين⁽⁴⁷⁾ في المشهد السياسي والفكري خاصة في الريف⁽⁴⁸⁾، وتميزوا بنفوذ وقوة تفرض نفسها وإرادتها⁽⁴⁹⁾، وسلطة سياسية خرجت من أحشاء هذا المجتمع تخطت في الكثير من الأحيان شيوخ القبائل والأسر العريقة. فأثاروا الحماس والعاطفة الدينية⁽⁵⁰⁾، باسم التأييد الإلهي، وأووا وأمدوا المجاهدين بالسلاح في العديد من مناطق التراب الوطني، ونظموا وخاضوا المعارك وشكلوا أرضية خصبة لرفض الأجنبي⁽⁵¹⁾ للدفاع عن الهوية الوطنية وقيم المجتمع الجزائري.

4- الوظيفة الدينية والعلمية: لم تقتصر الزوايا في تشكيل مؤسستها على وظيفة الإطعام، بل ثمة وظائف أخرى ساهمت بدورها في تقوية رصيدها الرمزي المفحم بالتحدي⁽⁵²⁾. فالزوايا هي في الأصل مركز للتعليم والوعظ، وشكل من أشكال محاربة الجهل و الأمية و وسيلة من وسائل نشر العلم و المعرفة ، "بالحراسة الدائمة للقيم و المشروعات العليا الأمة، والرقابة المستمرة لها وزيادة فاعليتها و تفعيلها"⁽⁵³⁾ وحماية التراث الإسلامي من النسيان و الضياع. كما استقطبت المتعلمين من كل الآفاق إيمانا منهم بأنها الوسيلة الوحيدة التي تحمي عاطفتهم الذاتية، وتقربهم إلى الله⁽⁵⁴⁾. و هو ما وفر لها جملة الشروط التي تحصلت بسببها على كل ما يلزم لبقاء دورها العلمي والصوفي مستمرا. خاصة وأن المجتمع كان في وضعية منحطة في مجال التعليم.

عرفت الزوايا نوعين من التعليم:

أ - التعليم الشعبي: يتمثل في تعليم الفئات الشعبية المبادئ العامة لدينهم، وافتائهم في الحلال والحرام اعتمادا على دروس الفقه⁽⁵⁵⁾، وأصول الدين، والسيرة النبوية، والحديث النبوي الشريف، والتفسير.

ب - التعليم القرآني: موجه إلى النشء بهدف تعليمهم الكتابة والقراءة والإلمام بقواعد اللغة العربية، وتحفيظهم القرآن الكريم كاملا أو ما تيسر منه، وتعليمهم الصلاة⁽⁵⁶⁾ والصوم اعتمادا على ما تيسر من علوم اللغة والنحو ومبادئ الحساب... كان التعليم في الزوايا مقسم إلى:

المرحلة الأولى: يهدف إلى تحفيظ النشء القرآن الموجه، وتلقيهم كتابة الحروف الهجائية، وحركاتها⁽⁵⁷⁾، والقراءة، والإلمام بالرسم القرآني وقواعد اللغة، ومبادئ الشريعة، والنحو والحساب. وكانت فترة الدراسة صباحا مع طلوع الفجر⁽⁵⁸⁾، يقسم فيها التلاميذ إلى مجموعتين: المجموعة الأولى تخص الصغار، يشرف عليهم المعلم بنفسه، أو يختار لهم مساعدا من تلاميذه النجباء⁽⁵⁹⁾. أما المجموعة الثانية وهم الأطفال الكبار فيشكلون حلقة، وتبدأ عملية الكتابة على اللوح ثم الحفظ صباحا ومساء (رسما وضبطا). يحفظون فاتحة الكتاب فسورة الناس، فسورة الفلق، ولا يزالون يوالون حفظ سور القرآن الكريم امتثالا لقوله تعالى: (إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ)⁽⁶⁰⁾، بولقوله "خيركم من تعلم القرآن وعلمه"⁽⁶¹⁾.

المرحلة الثانية: ينتقل الطالب إلى حفظ متون مواد الأدب العربي، وفقه اللغة، والنحو، والصرف، والبلاغة والعروض، والقوافي، وشواهد من كلام العرب، والسير، والأخبار، والمنطق، والحساب⁽⁶²⁾، والفلك، والطب، والأدكار والأوراد، وعلم الكلام، والتصوف⁽⁶³⁾، وأركان الإسلام، والفرائض وأصول الفقه⁽⁶⁴⁾.

انطلاقا من قوله "طلب العلم فريضة على كل مسلم"⁽⁶⁵⁾، كان الطلاب يتلقون دروس التوحيد والسيرة النبوية والقراءات وقواعد التجويد وأسباب النزول والناسخ والمنسوخ، وتفسير معاني القرآن مستعينين بما يحفظونه من متون الأجرومية، وألفية ابن مالك، وتطبيق تعاليم القرآن في ما يتعلق بالسلوك والأخلاق العامة الشخصية والجماعية⁽⁶⁶⁾. وبعد أن يختم المرید القرآن الكريم ختما يشترع في حفظ الأربعين النووية أولا، وبعد استظهارها ينتقل إلى حفظ غيرها من الأحاديث من "موطأ الإمام مالك" و"صحيح البخاري" و"مسلم".. فكانت مواضيع هذه الأحاديث، تتنوع من العقيدة إلى العبادات والأحكام والأخلاق والسلوك وغيرها. وقد أشارت "إيفون تيران" إلى أن العلوم الضرورية الثلاث المتمثلة في القرآن والنحو واللغة العربية، وما يلحق بها من الفقه وعلوم الدين والحساب وملخصات الطب لابن سينا وكتب ابن خلدون، ساعدت كلها على تطوير المهارات والممارسة الحرة للعقل⁽⁶⁷⁾. مما سيدمجها في النسق

"السني" "المالكي" الذي يحرص الشيخ/المرابط على جعله العلامة المميزة لعلمه وبركته وديمومة طريقته، وسعيه إلى حمايته وسلامة أتباعه فيما تبقى من الثقافة الوطنية التي تجمع قيمهم ومعتقداتهم وتراثهم الثقافى⁽⁶⁸⁾ الذي يتعرض للعدوان والانتقاص⁽⁶⁹⁾.

لعل من المجالات التي اهتمت بها مؤسسة الزوايا هي حث فئة طلبة العلم الشرعي، على الرحلة⁽⁷⁰⁾ في طلب العلم وتحصيله لقوله تعالى (وَمَا كَانَ الْمُؤْمِنُونَ لِيَنْفِرُوا كَافَّةً فَلَوْلَا نَفَرَ مِنْ كُلِّ فِرْقَةٍ مِنْهُمْ طَائِفَةٌ لِيَتَفَقَّهُوا فِي الدِّينِ⁽⁷¹⁾) ، وقوله ρ "من سلك طريقا يلتمس فيه علما سهل الله له به طريقا إلى الجنة"⁽⁷²⁾. لهذا سنجد المرابط وأقرباءه وأهالي القرية⁽⁷³⁾ ، أكثر الناس حرصا على توفير الظروف الملائمة للطلبة، من إقامة يحظون فيها برعاية فائقة، ومأكل ومشرب وملبس ومكتبة تضم مخطوطات نادرة، وتوفير كل ما ينفعهم من أجل حسن دراستهم وتحصيلهم، وتكوينهم، حتى يصفو لهم جو الاشتغال بالعلم وحده، ولا يكون لهم أي تشوف إلى همّ الرزق، ومشاغل الدنيا المكدرة لذهن الطلبة والمشوشة عليهم، فيجمعوا همهم وطاقتهم الخلاقة ليصرفوها في الإبداع، وكل ذلك من أجل أن يكونوا منارا ومشعلا ومصدرا لازدهار العلم والمعرفة وتجديد الآمال⁽⁷⁴⁾.

برزت عدة زوايا اهتمت بهذا الشأن، والتي كانت تصرف الأموال الطائلة في التكفل بحاجيات الطلبة، من إعداد الطعام بدون مقابل⁽⁷⁵⁾ ، وصرف المرتبات للشيخ الذين يُدرّسون الطلبة، وغيرها من الأمور التي تجعل الطالب يُقبل بكلّيته على الدراسة. مع العلم أن إتمام الدراسة في هذه الزوايا كان غير محدد بسنوات معينة. فإذا آنس الطالب من نفسه كفاءة استأذن شيخه في الانصراف ليقوم بدوره في نشر العلم، وأحيانا يكون ذلك بأمر من الشيخ عندما يلحظ أن الطالب أخذ ما يمكنه من القيام بدوره في خدمة الأمة. الأمر الذي سيساهم في نشر التعليم بمختلف أطواره في الحواضر والأرياف⁽⁷⁶⁾.

يتولى التعليم شيخ الزاوية، وهو المعلم الأول صاحب سر وعلم الطريقة، والدراية والنزاهة⁽⁷⁷⁾ و السلوك والقُدوة في العمل ومقصد المرید. يعمل باستمرار على تطوير أدائه وبلورة هذا الأداء في صورة تلقين مجسد لشخصيته الصوفية القائمة على سمات التسليم والبركة❖. وما يجسد في شخصه من مُثُل النموذج الصالح لحياة الناس وكراماته ومناقبه دليل على رغبته في إصلاح الناس في أمور العلم والدين، والقيام

بتعليم الناشئة وبث العلم في صدور الرجال المتعطشين لما يفيض عليهم من بحار علم شيخهم ليتخرج على يديه أجيال من الفقهاء والوعاظ والمرشدين الذين تبحروا في علم التجويد والقراءات و"الفقه والأصولين (العقائد وأصول الفقه) والتفسير وعلم الكلام والمعاني والبيان والسير واللغة وعلم الأنساب والأدب"⁽⁷⁸⁾.

المرحلة الثالثة: يتم فيها التوسيع والتعميق في دراسة العلوم، ويتخصص الطلبة حسب ميولهم، سواء في مادة الفقه والتشريع الإسلامي⁽⁷⁹⁾ وغيرهما من أنواع العلوم العقلية والنقلية، ليحصلوا في نهاية مطافهم التعليمي على الإجازة ❖.

إن الزاوية إلى جانب كونها عبارة عن مدارس تربوية وأخلاقية وثقافية، فقد كانت بمثابة حصون عسكرية تعمل على التسليح من أجل الجهاد في سبيل الله من الناحية العسكرية، وكذلك تسليح المجاهد من الناحية النفسية بتصحيح حقيقة الإيمان وتقوية اليقين في الله تعالى، وتطهير النفس من التعلق بهاته الدار الفانية⁽⁸⁰⁾ لأن المسلم المرابط مطمئن القلب، سعادته في استقرار نفسه، وإيمانه بالله يدفعه إلى عدم اليأس والقنوط مهما كانت الابتلاءات التي يمر بها، لقوله تعالى: (والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا⁽⁸¹⁾). ومعلوم أن جهاد النفس أشد جهاد وأصعبه وأدومه وهو جهاد الليل والنهار وفي العسر واليسر، وفي الضيق والسعة وفي العقيدة والعبادة والمعاملة وفي العزلة عن الناس والاجتماع بهم⁽⁸²⁾. وهو جهاد حقيقي يهتم بتصفية النفس، وتزكيتها ومجاهدتها للانتقال من النفس الأمارة إلى اللوامة المطمئنة فالراضية فالمرضية.

الوظيفة الروحية (القداسة/ الكرامة/ النسب الشريف)

انطلاقاً من فكرة أن لكل مجتمع خرافاته وأساطيره وطقوسه الغامضة⁽⁸³⁾، وكرامات يعتقد فيها ويتفاعل معها، يتراجع إلى الوراء ويشعر بالخوف وفق منطق عقيدته، فإن الولي "يجمع في حده المنطقي كل الصفات المشتركة بين الأفراد، على حين هي لا تختص بأحد منهم"⁽⁸⁴⁾. إنه يمثل شخصيات منزهة اصطفاها الله وخصها عن العامة بما منحها من ميزات لا يمكن أن يطالها الآخرون من البشر العاديين⁽⁸⁵⁾. و انطلاقاً من هذا فالمرابط هو شيخ المنطقة وولي القوم، والرجل الصالح النموذج و القدوة، الكريم والجواد، المقرب من الله. يزوره القوم باعتباره مرهما يبرئ ومفتاحاً لأبواب الهداية والخير⁽⁸⁶⁾، ويستأنسون به لأنه من زار ولياً وتوسل به⁽⁸⁷⁾، وذكر الله عند قبره، فذلك يجلس في قبره، ويذكر الله معه⁽⁸⁸⁾. و يرجعون إليه في السراء و

الضراء ،يطلبون منه العون والحماية والبركة الإلهية⁽⁸⁹⁾ التي تقربهم إلى الله، ويسألونه المدد ويتوسلون إليه في طهارة ومذلة وخشوع، فلا يبخلهم. فيشعرون أنهم في سعادة دائمة⁽⁹⁰⁾ وأمان مطلق بحضرتها، ينال عرفانهم و ولاءهم، فيرفعونه في أعلى المراتب ويلبسونه لباس التقوى والقداسة والوقار. لأنه أكثرهم قربا من الله ودعوته مستجابة لا ترد أبدا وبذلك فهو يضمن الجنة ويعتق من النا⁽⁹¹⁾. له حضور دائم وقوي في مخيلة قومه سواء كان حيا أو ميتا. إنه أسطورة ليست مُطعمَةً بالخيال الساذج والمعرفة الوهمية السماوية لأنه من "أولي الألباب"⁽⁹²⁾ والقارئ لكتاب الله. وهو ذو معرفة واسعة شاملة و بديهة حاضرة، أفنى حياته بالنظر في المسائل و معرفة سير و أخبار الصالحين وإثبات قدرته على حل المسائل العويصة،"مما جعل عمله دينا مقذوفا فيقلبه كالنور"⁽⁹³⁾ ، يكون فيها المرابط "نفسه بطلا جاهزا مشمولاً بالمعرفة التي تمكنه من التأثير في الواقع و الإنسان"⁽⁹⁴⁾. فتتحول هذه الأسطورة إلى طريقة تربوية "تعليمية تقصد الوعظ و الاعتبار وتلازم الجد بعيدة عن الهزل"⁽⁹⁵⁾ وكل ذلك في سبيل معالجة قضايا الإنسان وتوجيهه نحو غاية أخلاقية قوامها التربية والتوجيه والتطهير.

باعتبار أن "تاريخ الخارق هو تاريخ الخوف"⁽⁹⁶⁾ والرعب، فقد ظل المرابط في المنظور الشعبي، لا يثبت جدارت هو صلاحه إلا إذا كان سنده متصلا ومتواترا إلى الرسول ρ و"أتى بخوارق تميزه عن الناس العاديين و الخارق يتجسد في كراماته"⁽⁹⁷⁾ ❖ التي يتجاوز بها في علاقته الجدلية مع أفراد مجتمعه و قوانين الطبيعة، ويتحدى العلية و السببية و الموضوعية⁽⁹⁸⁾ لا لشيء إلا لأن "الطبيعة صديقة الإنسان الصوفي مطيعة تتداخل فيها العوامل الحيوانية و النباتية و البشرية و الغيبية، فكل عالم فيها منفتح على الآخر و مساعد له، وبذلك تلغى السببية و قوانين الطبيعة"⁽⁹⁹⁾ التي تحوي في ثناياها الجمع بين عالمي الواقع و الأسطورة الجليلة التي تصل به "إلى مرحلة النضج والاكتمال عندما يتمكن من الانتصار على المصاعب والعقبات"⁽¹⁰⁰⁾. فيعكس "اجتماع الضدين في الإنسان بالنسبة إلى العالم و بالنسبة إلى ذاته، و العنصر المهم هو السعي نحو السعادة والراحة النفسية و الاطمئنان و المهابة التي يجدها الإنسان." إنها باختصار تعبر عن الإحساس و بأن في الطبيعة ازدواجية كما أن في الإنسان ازدواجية و ضد لن يجد له حلا في حياته"⁽¹⁰¹⁾.

لتجنب سخط الفقهاء الذي أنزلوا بهم تهمة الشعوذة والابتداع، والمروق عن المذهب السني،⁽¹⁰²⁾ لجأ هؤلاء إلى التأويل، ومنعوا مرديهم من الاستفسار حول سلوكياتهم و أعمالهم و حق الاطلاع عليها أو معارضتها. فهي سر ينصاع له المرید في صمت ودون نقاش، فهم يرون أن من لم يقدر على إتباع رسول الله ρ عليه إتباع شيخه، ومن لم يفعل ذلك يطرد من الطريقة⁽¹⁰³⁾... مستشعدين في ذلك بقصة الخضر مع النبي موسى⁽¹⁰⁴⁾ ρ . لأنهم من أهل التصريف، يتصرفون في الخلق، ويكاشفون السرائر، وكلامهم محفوظ من السقطات، يرتقي عن دائرة العقول ويشذ عن ظاهر المنقول ويجب الظن الحسن فيه⁽¹⁰⁵⁾، لأنه يقود إلى الحقيقة⁽¹⁰⁶⁾ و وقائع لا طابع تاريخي له. والغرض من ذلك تثبيت كراماتهم والدعاية لهم.

إن المرابط لا يعيش لذاته بل هو الضمير الجمعي و"الأنا الكلي" للمجتمع و الأمة. "يعيش بينهم كأبي واحد منهم بحجمه الطبيعي، يتفانى في خدمة خالقه، لذلك فهو الوسيط بين الله والناس، لاحتوى طبيعته البشرية على طبيعة إلهية أمدته بقدرات تفوق القدرات البشرية.

لا يسعنا هنا إلا أن نشير إلى مدى التدهور الاجتماعي والثقافي الذي وصلت إليه الجزائر خلال هذه الفترة التاريخية من الحكم العثماني. خاصة وأن السلطات الرسمية ساندت بعض المرابطين وتواطأت معهم. لأنهم شاعوا بين العامة والخاصة⁽¹⁰⁷⁾ الذين باتوا ينظرون إليهم أنهم أحياء الله الواقفين بين يديه و أمامه بقلوبهم⁽¹⁰⁸⁾، والعارفين بالقلوب والأسرار الربانية والغيب⁽¹⁰⁹⁾. وقد ذهب"بيل و بييردان وليون الإفريقي" إلى أن العامة من الناس أصبح أصبحوا يعتبرون الفساق والمجانين و المعتوهين و البهاليل⁽¹¹⁰⁾ أحيارا، يحظون بمكانة عالية و بمعاملة جيدة دون أن تطلب منهم البركة أو الزيارة⁽¹¹¹⁾.

خلاصة القول

أثارنا ما كتبه "مصطفى حجازي" في كتابه "التخلف الاجتماعي"، عندما أكد على أن ظاهرة التخلف تتميز بالدينامية والتماسك، وقصور في الفكر النقدي، وصعوبة السيطرة الذهنية على الواقع بكل "تبدياته". وهذا العجز أو القصور لا يقتصر في مجال واحد بل يشمل العجز إزاء ظواهر الطبيعة، والحياة، وقيود النفس، وأعراف العشيرة، والالتزامات الشرعية⁽¹¹²⁾، والعلاقات، وما يبدو عليها من غموض، وتناقض، وتداخل، بحيث تبدو للمريد أقوى من طاقته على الاستيعاب⁽¹¹³⁾. لذا يتوسل هذا

الإنسان المتخلفُ المقهور، بالوسائل السحرية والخرافية و المناسب آتية في صيدلية الشيخ/المرابط/الولي/ صاحب البركة والكرامة ليطلب عندها الدواء، وهو بهذا التصرف يحصل على دواء لا يشفيه بل يميته لأنه لا يناسبه⁽¹¹⁴⁾، وتجعله يحجم عن كل جديد، ويتجنب كل تجربة قد تساهم في تغيير وضعه، لذلك تجده لا يحرك ساكناً. وإنما ينتظر الولي المخلص الذي سينتشله مما هو فيه. فيحمل ثقافة الحظ والحظوة، والتفسيرات غير المنطقية لسد هذا الغموض والحيرة والعجز والقصور⁽¹¹⁵⁾ في الجمع بين المميزات والعيوب. ويصبح أسير الظروف المحيطة به، حائراً ومتعباً أمام شتاتها. ويعاني من اضطراب منهجية التفكير وذهنية السببية المبسطة. ويسمى "مصطفى حجازي" هذه الحالة بالخصاء الذهني⁽¹¹⁶⁾ . ❖

إن الإنسان المتخلف في هذه الحالة يبدي تذبذباً شديداً، فيقع صاحبه في الفوضى والعشوائية والتخبط وإن كان من بين فئات المتعلمين. ولا يُجسّم نفسه عناء الجهد الفكري الضروري لتحليل والتصدي للواقع، والخروج بتصورات متماسكة عن الواقع خوفاً من الفشل. فيفقد تكييفه مع الحياة الاجتماعية ويصبح غير مؤمن بدوافع الحياة الاجتماعية⁽¹¹⁷⁾. و البلد المحروم من مظاهر الحضارة والمدنية يفرض في تكديس الأشياء بشكل تبذير وإسراف، وهكذا يتقلب المرید "بين التشاؤم والتفاؤل تبعاً للحظة الراهنة، يفرض في تفاؤله أمام الظفر العابر، ويفرض في تشاؤمه أمام الانتكاسة الآتية. إن مشكلتنا ليست في نقص الأشياء ولا طبيعة الأشخاص، وإنما مشكلتنا فكرنا⁽¹¹⁸⁾، وفيما يسودنا من عادات وما يراودنا من أفكار، وفي تصوراتنا الاجتماعية بما فيها من نقائص تعترى كل شعب نائم"⁽¹¹⁹⁾. إن بعض الأفكار المميّنة أسلمتنا إلى المرض والتخلف، ولأننا لم نتخذ الفكرة هادية فقد تخبطنا في فوضى من التقليد، وحيث يكون التقليد تنسحب الفكرة"⁽¹²⁰⁾. و الأفكار المميّنة جاءتنا من الأفكار المميّنة التي جاءتنا بدورها من تركة ثقافية لم تُصَفَّ⁽¹²¹⁾.

الهوامش:

- 1- العماري الطيب، الزوايا والطرق الصوفية بالجزائر، التحول من الديني إلى الدنيوي ومن القدسي إلى السياسي -دراسة أنثروبولوجية-، جامعة بسكرة (الجزائر)، مجلوم الإنسانية والاجتماعية، العدد 15، جوان 2014، ص 130

- 2- المهدي البوعبدلي، الرباط والفضاء في وهران والقبائل الكبرى، مجلة الأصالة، العدد 13، الجزائر 1973، ص 20 - 25.
- ❖ يطلق الرباط في اصطلاح الفقهاء على البقعة التي يجتمع فيها المجاهدون لحراسة البلاد ورد هجوم العدو عينها، والمكان الذي يلتقي فيه صالحوا المؤمنين لعبادة الله. أنظر: محمد مفتاح، الخطاب الصوفي: مقارنة وظيفية، مكتبة الرشاد، ط1، 1997م، ص 38.
- 3- حسن أحمد محمود، قيام دولة المرابطين (صفحة مشرقة من تاريخ المغرب في العصور الوسطى)، دار الكتاب الحديث، ط2، بيروت 1996، ص 128.
- 4- أحمد التوفيق، مساهمة في دراسة المجتمع المغربي في القرن التاسع عشر (إينولتان 1850 - 1912)، البيضاء، منشورات كلية الآداب الرباط، 1978، ص 92.
- 5 -Abderrahmane Moussaoui. Logique de Sacré et Mode d'Organisation de l'espace dans le Sud-Ouest. URASC. Université d'Oran. P:132.
- 6- أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، ج3، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، ط1، 1998، ص1
- 7 -Ch. R. Ageron. Les Algériens musulmans et la France (1871-1919). Paris. P.U.F. 1968. T2. P: 1062.
- 8- عبد اللطيف الشاذلي، التصوف والمجتمع، نماذج من القرن العاشر الهجري، سلا، المغرب، 1989، ص 125.
- 9 -Alfred Bel. Coup d'œil sur l'Islam en Bèrbèrie. Revue des religions. Jan-Fév 1917. Angers imprimeur et autres. Paris. P:28
- 10- كمال السيد أبو مصطفى، جوانب من الحياة الاجتماعية والاقتصادية والدينية والعلمية في المغرب الإسلامي من خلال نوازل وفتاوى المعيار المعرب لولنشرسي، مركز الإسكندرية للكتاب، الإسكندرية 1996، ص 111
- 11- محمد مفتاح، مقارنة وظيفية، مكتبة الرشاد، ط1، 1997، ص 33.
- 12- عبد الباقي مفتاح، أضواء على الشيخ عبد القادر الجيلاني، وانتشار طريقته، دار الهدى، عين مليلة، 2008، ص 286.
- 13- محمد السوسي الإفرائي، صفوة من انتشر من أخبار صلحاء القرن الحادي عشر، ط.ح، د.ت، ص 199.

- 14- أبو سهل نجاح عوض صيام، أنس الفقير وعز الحقير في التعريف بالشيخ أبي مدين وأصحابه رضي الله عنهم، تحقيق وتقديم: علي جمعة، دار المقطم للنشر والتوزيع، القاهرة، ط1، 1422هـ/2002م، ص، 59.
- 15 -Redouane AinadTabet. Histoire de l'Algérie. Sidi Bel Abbés de la colonisation à la guerre de libération en Zone 5-Wilaya V(1830-1962). ENAG. Alger. 1999. P: 135.
- 16- محمد الطاهر عدواني، الزاوية تقود المقاومة، أعمال الملتقى الوطني الأول والثاني، حول دور الزوايا في المقاومة وثورة التحرير، منشورات وزارة المجاهدين، 2007، ص 81.
- 17- يحيى بوعزيز، دور المساجد والزوايا في بث الوعي الديني والأخلاقي والوطني، جريدة الشعب، عدد 11798، ص 19.
- 18- سورة الرعد، آية 12.
- 19- عبد الله نجمي، التصوف والبدعة بالمغرب، طائفة العاكرة، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية بالرباط، 2000، ص 39.
- 20- محمد المهدي الفاسي، الإلماح ببعض من لم يذكر في ممتع الأسماع، دار ابن حزم، ط1، 2011، ص 98.
- 21 -Edmond Doutté. Magie et religion dans l'Afrique du nord. Typographie Adolphe Jourdan imprimeur-Libraire. Alger. 1908. P: 3.
- 22- عيسى البسكري، اللوامع والأسرار في منافع القرآن والأخبار، مخطوط بالمكتبة الوطنية، الجزائر، رقم 828 أو 1767، ورقة 56 وجه.
- 23- أحمد التوفيق، مرجع سابق، 92.
- 24- جريدة المساء، عدد 2174، 2013/10/05.
- 25 -Jean-Paul Charny. Sociologie Religieuse de l'islam. Editions Sindibad. 1977. P: 232.
- 26- عبد الوهاب الشعراني، الأنوار القدسية في بيان قواعد الصوفية، تحقيق: لجنة التراث في الدار، ط1، دار صادر، بيروت، 1999، ص 322.
- 27- جمال الدين، مؤسسة الزاوية بين الأصالة والمعاصرة، دار الحديث، الرباط، ص 383.

- 28- محمد مفتاح، الخطاب الصوفي، مرجع سابق، ص 5.
- 29 -www. chihab. net.
- 30- عبد القادر نور الدين، صفحات في تاريخ مدينة الجزائر من أقدم عصورها إلى انتهاء العهد التركي، مطبعة البعث، قسنطينة، 1965، ص 68.
- 31- عبد الكريم الفكون، منشور الهداية في كشف حال من ادعى العلم والولاية، تقديم و تحقيق و تعليق:أبو القاسم سعد الله، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1987، ص 201.
- 32- حسين مؤنس، تاريخ المغرب و حضارته، المجلد 2، ط1، العصر الحديث للنشر و التوزيع، بيروت، 1992، ص 155.
- 33 -Eugène Daumas. Moeurs et coutumes de l'Algérie. Sindbad. Paris. 1988. P: 160.
- 34- سبنسر ترمنجهام، الفرق الصوفية في الإسلام. تر ودراسة وتعليق: عبد القادر البحراري، ط1، دار النهضة العربية للطباعة والنشر، بيروت، 1997، ص 353.
- 35- محمد القورصو، تأسيس ونشاط جمعية العلماء المسلمين الجزائريين في عمالة وهران 1931- 1935، رسالة دكتوراه، جامعة وهران 1977، ص 65.
- 36 -Pierre Boyer. La politiquereligieuse des turcs, revue de l'occidentmusulmanet de la méditerranée. N° 11. Semestre1ER . Aix En Provence. Archives d'outre-mer.1966. PP: 46.47.
- 37- عبد اللطيف الشاذلي، التصوف والمجتمع، مرجع سابق، ص 188.
- 38 -A. Laroui. Les originessocialesetculturelles du NationalismeMarocaine. Op. Cit. P: 141.
- 39 -IDEM. P: 141.
- 40- عبد الله الحمودي" الانقسامية والتراتب الاجتماعي والسلطة السياسية والقداسة: ملاحظات حول أطروحات كلنير"، ضمن "الأنثروبولوجيا والتاريخ"، سابق الذكر، ص 75.
- 41 -Abdallah Laroui. Les Origines Sociales et Culturelles du nationalisme Marocaine. Op. Cit. P:141.
- 42 -Ali Merad. le réformisme musulman en Algérie de 1925 à 1940. Edit. EL Hikma. 2ème édition. Alger. 1999. P:36.

- 43- محمد العربي، مؤسسة الزاوية، مجلة أعمال الملتقى الأول والثاني لدور الطرق الصوفية، مرجع سابق، ص 55.
- ❖ أكد الفكون بأن من أراد أن يعرف أحدا من أي حزب "طريقة" هو فليستحلفه، لأن المرید سيحلف بشيخه. أنظر: A. Cherbonneau. Inscription arabes de la province de Constantine et de Tunis. Annuaire de la société archéologique de la province de Constantine (1856-1857). Bastide et Arnolet. Libraire-éditeur. Constantine. 1858. P: 162
- 44- عبد اللطيف الشاذلي، التصوف والمجتمع، نماذج من القرن العاشر الهجري، سلا، 1989، ص 125
- 45- عبد الله حمودي، الشيخ و المرید: النسق الثقافي للسلطة في المجتمعات العربية الحديثة، تر: عبد المجيد جحفة، ط1، دار توبقال للنشر، الدار البيضاء، 2000، ص 25.
- 46- Youssef Nacib. Chants religieux du Djurdjura. Sinbad. Paris. 1988. P: 21.
- 47- يحيى بوعزيز، ثورات القرن 19 و 20، مرجع سابق، ص 346.
- 48- إيفون تريان، مرجع سابق، ص 129.
- 49- Charles Brosselard. les Khouanes: de la constitution des ordres religieux en Algérie. Imprimerie de A. Bourget. Alger. 1952. P: 5.
- 50- كارل بروكلمان، تاريخ الشعوب الإسلامية، ترجمة: نبيه أمين فارس ومنير البعلبكي، ط5، دار العلم للملايين، بيروت، 1968، ص 481.
- 51- Jaques Berque . L'intérieur du Maghreb 15ème 19ème siècles. Bibliothèque des histoires. Éditions Gallimard. France. 1978. P: 48.
- 52- Mahfoud Kaddache. L'activité politique de l'Emire Khaled. 1919-1925. in Revue d'histoire et de civilisation du Maghreb. N° 04. Janvier 1968. P: 172.
- 53- محمد توفيق محمد سعد، فقه تغيير المنكر، سلسلة مجلة الأمة القطرية، العدد، 41، السنة، 1995، ص 37 .
- 54- مبارك الميلي، رسالة الشرك ومظاهره، مكتبة النهضة الجزائرية، الجزائر، 1966، ط2، ص 102.
- 55- علي مرآد، الحركة الإصلاحية الإسلامية في الجزائر، مرجع سابق، ص 174.

- 56- محمد مريوش، الشيخ الطيب العقبي ودوره في الحركة الوطنية الجزائرية، ط1، دار هومة، الجزائر، 2007، ص 67.
- 57- السعيد عقبة، جوانب من الحياة الفكرية، الملتقى الدولي الثاني للطريقة التيجانية حول الخطاب الصوفي التيجاني زمن العولمة، زاوية قمار، الوادي، 2008، ص 50.
- 58- عليغنازية، دراسة تاريخية لمناهج تعليم القرآن الكريم بين الماضي والحاضر (مجتمع وادي سوف نموذجا)، مجلة البحوث والدراسات، العدد 4، يناير 2007، ص 73.
- 59- المرجع نفسه، ص 75.
- 60 -Jacques Berque. Le Maghreb entre deux guerres. le seuil. 1962. P: 46.
- 61- حديث شريف.
- 62- عليغنازية، مرجع سابق، ص 73.
- 63- زكي مبارك، التصوف الإسلامي في الأدب والأخلاق، ج1، منشورات المكتبة العصرية للطباعة والنشر، بيروت، د ت، ص 41.
- 64- عبد الجواس السقاط، الشعر الدلائلي، مكتبة المعارف للنشر والتوزيع، ط1، 1985، ص 48.
- 65- حديث شريف.
- 66- يحيى بوعزيز، ثورات القرنين 19 و20، ط1، دار البعث، الجزائر، 1980، ص 344.
- 67- إيفون تيران، مرجع سابق، ص 133.
- 68 -Ahmed Mehsas. le mouvement révolutionnaire en Algérie. Op. Cit. P: 220.
- 69- أحمد محساس، مرجع سابق، ص 57- 67.
- 70- ساهموا في نشر التعليم الدواوير والبوادي والمناطق الجبلية البعيدة، ومن ثم كان لهم الفضل الكبير في الحفاظ على التراث الإسلامي في غياب إلزامية التعليم. أنظر: محمد الأمين بلغيث، الطريقة الشاذلية في تونس و الجزائر "محاولة لرسم مسار الحركة" خلال القرنين 16 و 17 م، المجلة التاريخية المغاربية (العهد الحديث و

- المعاصر)، العدد 114، السنة 31 جانفي 2004، منشورات مؤسسة التميمي للبحث العلمي والمعلومات، زغوان، تونس، ص 39.
- 71- سورة التوبة، آية 122.
- 72- حديث شريف.
- 73- محمد موهوب بن أحمد بن الحسين، قصة خنفة سيدي ناجي عبر أربعة قرون من تاريخها، دار الهدى، عين مليلة، ص 17.
- 74- Jacques Berque. Le Maghreb entre deux guerres. Op. Cit. P: 45.
- 75- عبد القادر عثمانى، الزوايا والتعليم القرآني والديني بها، مجلة الدراسات الإسلامية، العدد 2، الجزائر، ديسمبر 2002، ص 80.
- 76- Alfred Bel. Caractères et développement de l'Islam en Bérubérie et plus spécialement en Algérie. In histoire et historiens de l'Algérie. Bibliothèque national. Alger. 1931. PP: 193.194.
- 77- أحمد توفيق المدني، كتاب الجزائر، مرجع سابق، ص 304.
- 78- عبد الجواس السقاط، مرجع سابق، ص 48.
- ❖ هي منحة من الله مرتبطة بالقداسة الوراثية التي تنتقل بالتسلسل من الرسول ﷺ منذ بيعة الرضوان بالحديبية إلى شيخ عبر شيخ. أنظر: موجز دائرة المعارف الإسلامية، ج7، بلوغ - تصوف، ط1، ترجمة: نخبة من أساتذة الجامعات المصرية و العربية، مركز الشارقة للإبداع الفكري، 1998، ص 2223.
- 79- يحيى بوعزيز، موضوعات وقضايا في تاريخ الجزائر، دار الهدى، عين مليلة، الجزائر، 2004، ص 498.
- 80- المدارس والكتاتيب القرآنية، مرجع سابق، ص 26.
- 81- سورة العنكبوت، آية 69.
- 82- حسن أيوب، الجهاد والفتاوية في الإسلام، الندوة الجديدة، بيروت، 1983، ص 32.
- 83- أبو القاسم سعد الله، الحركة الوطنية الجزائرية، ج2، مرجع سابق، ص 481.
- 84- شارل بلوندل، المدخل إلى علم النفس الجماعية، تعريب: حكمت هاشم، دار المعارف، مصر، 1962، ص 29.
- 85- علي مراد، مرجع سابق، ص 330.

- 86- يحيى بوعزيز، أعلام الفكر والثقافة في الجزائر المحروسة، ج2، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1995، ص 224.
- 87- ناصر الدين سعيدوني، مؤسسة الزوايا، مرجع سابق، ص 29.
- 88- عبد الوهاب الشعراني، الأنوار القدسية في بيان قواعد الصوفية، مصدر سابق، ص 217.
- 89 -P.Murayi. Op. Cit. PP: 10-13.
- 90- ناهضة ستار، بنية السرد في القصص الصوفي - المكونات - الوظائف - التقنيات - دراسة، ط1، اتحاد الكتاب العرب، دمشق، 2003، ص 172.
- 91- عبد الله نجمي، التصوف والبدعة بالمغرب، مرجع سابق، ص 107.
- 92- لقوله تعالى: كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ لِيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ وَلِيَتَذَكَّرَ أُولُو الْأَلْبَابِ، سورة آل عمران، آية 7.
- 93- ميلود حكيم، الكرامة الصوفية في تلمسان، رسالة ماجستير، تلمسان، 1998، ص 131.
- 94- أمينة بلعلی، تحليل الخطاب الصوفي في ضوء المناهج النقدية المعاصرة، الدار العربية للعلوم ناشرون، منشورات الاختلاف، بيروت، الجزائر، 2010، ص 198.
- 95- حمادي المسعودي، الحكايات العجيبة في رحلة ابن بطوطة، منشورات كلية الآداب بالقيروان، تونس، 2001، ص 86.
- 96- ميلود حكيم، مرجع سابق، ص 137.
- 97- محمد مفتاح، دينامية النص، مرجع سابق، ص 138.
- 98- علي زيعور، الكرامة الصوفية والأسطورة والحلم، مرجع سابق، ص 32.
- 99- علي زيعور، قطاع البطولة والنجسية في الذات العربية، ط1، دار الطليعة، بيروت، لبنان، 1982، ص 40.
- 100- نبيلة إبراهيم، أشكال التعبير في الأدب الشعبي، مكتبة غريب، القاهرة، ط3، 1981، ص 86.
- 101- جبرا إبراهيم جبرا، الأسطورة والرمز، المؤسسة للدراسات والنشر، بيروت، ط 2، 1980، ص 52.
- 102- رد شيوخ الزوايا الطرقيين على الفقهاء ردا عنيفا معتبرين أن من تفقه ولم يتصوف فقد تَفَسَّقَ، وألبسوا الفقهاء لباس التباهي بالعلم والتعلق للأمرء. أنظر:

- أحمد زروق، قواعد التصوف، صحح هو نقحه: محمد زهري النجار، مكتبة الكليات الأزهرية، القاهرة، 1968، ص 4.
- 103- المصدر نفسه، ص 297.
- 104- أبو عبد الله محمد بن محمد بن علي الصباغ، بستان الأزهار في من اقبزمزم الأختيار و معدن الأنوار سيدي أحمد بن يوسف الراشدي النسبو الدار، مخطوط بالمكتبة الوطنية، الجزائر، رقم 1707، نسخ 1140 هـ 1727 م.
- 105- زين الدين محمد عبد الرؤوف المناوي، طبقات الصوفية، ج 4، إرغام أولياء الشيطان بذكر مناقب أولياء الرحمان: الطبقات الصغرى، تحقيق و إعداد: محمد أديب الجادر، ط 1، دار صادر للطباعة و النشر، بيروت، 1999، ص 11 .
- 106- ألفرد بل، الطرق الإسلامية في الشمال الإفريقي: من الفتح العربى حتى اليوم، تر: عبد الرحمان بدوي، ط 3، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1987، ص 408.
- 107- أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافى، مرجع سابق، ج 1، ص 478.
- 108- عبد الرحمان الثعالبي و التصوف، سلسلة الدراسات الكبرى، الشركة الوطنية للنشر و التوزيع، الجزائر، 1978، ص 50
- 109 -Guin.L. Notices sur la famille des Robrini de Cherchel. RevAfr. N°17. 1873. OPU. Alger. 1986. P: 449.
- 110 -Pierre Dan.R.P.Fr. Histoire de Barbarie et de ses corsaires. Des royaumes et des villes d'Alger de Tunis.de Salé et de Tripoli. 2ème édition revu et augmenté par le même auteur. Pierre Rocalet imprimeur et libraire. Paris. 1648. P : 271
- 111 -Alfred Bel. Coup d'œil sur l'Islam en Bèrbèrie. Op. Cit. PP : 3738 .
- 112- المجيد الصغير، تجليات الفكر المغربى (دراسات و مراجعات نقدية في تاريخ الفلسفة و التصوف بالمغرب)، شركة النشر و التوزيع المدارس، الدار البيضاء، 2000، ص 129.
- 113- مصطفى حجازي، التخلف الاجتماعى، مرجع سابق، ص 74.
- 114- مالك بن نبي، شروط النهضة، مرجع سابق، ص ص 45.46.

- 115- هذا القصور ليس وليدًا لخلل عضوي أو انحطاط تطوري كما يذهب إلى ذلك الكثير من الفرنسيين، بل هو نتاج بنية اجتماعية متخلفة، تتناسب مع درجة القهر المفروض على الإنسان وجمود البنية الاجتماعية التي يعيش فيها.
- 116- مصطفى حجازي، المرجع السابق، ص 79.
- يحكى أن أن سارقا سرق برنوسا "كحل" أي أسود اللون، ولما ضُبط أنكر فعلته. فأخذه القوم إلى سيدي بن شرقي، فطلب منه أن يقسم كالتالي: "حق هذا العام لكحل من بعدو رايح يجي عام اللّي يقيس قصعة يدي فحل، البرنوس لكحل ماني داسو في الرحل". فأجابه السارق على الفور: "مسلم ومكتف يا سيدي، البرنوس لكحل راه في الرحل وراني ثُبت".
- 117- مالك بن نبي، مشكلة الأفكار، مرجع سابق، ص 99- 106.
- 118- مالك بن نبي، حديث في البناء الجديد، بيروت: المكتبة العصرية، 1959، ص 12- 13.
- 119- مالك بن نبي، شروط النهضة، مرجع سابق، ص 37.
- 120- مالك بن نبي، حديث في البناء الجديد، مرجع سابق، ص 10- 11.
- 121- مالك بن نبي، مشكلة الأفكار، مصدر سابق، ص 197.

النشاط العلمي:

- 1- البعد الثوري في الأدب الجزائري، مجلة القلم العدد 8/السنة 2009، جامعة السانوية وهران.
- 2- القضاء أثناء الثورة التحريرية، المجلة المغاربية للدراسات التاريخية والاجتماعية، العدد الأول/ سبتمبر 2009، جامعة الجيلالي الياابس، سيدي بلعباس.
- 3- الفعل الثوري في القصة الجزائرية، مجلة القلم، العدد 12/السنة 2010، جامعة السانوية وهران.
- 4- رحلة ابن حمدوش الجزائري، مجلة القلم، العدد 14/السنة 2010، جامعة السانوية، وهران.
- 5- الثورة الجزائرية والتحرر الثقافي، مجلة القلم، العدد 19/السنة 2011، جامعة السانوية، وهران.
- 6- ثورة الزنج، مجلة القلم، العدد 22/السنة 2011، جامعة السانوية، وهران.

- 7 - المرأة والثورة الجزائرية، المجلة المغاربية للدراسات التاريخية والاجتماعية، العدد الرابع/ ديسمبر 2011، جامعة الجيلالي اليااس، سيدي بلعباس.
- 8 - نضال الحركة النسوية في ذاكرة الجزائر، مجلة القلم، العدد 32/السنة 2015، جامعة السانبة، وهران.
- 9 - مداخلة بعنوان "الشهادة ودورها في كتابة التاريخ" في الملتقى الدولي بولاية سيدي بلعباس، حول الذاكرة الجماعية لحرب التحرير الوطنية، المنظم بتاريخ 30 أبريل 2015
- 10 - النضال الصامت، المجلة المغاربية للدراسات التاريخية والاجتماعية، العدد الثاني عشر/ ديسمبر 2016، جامعة الجيلالي اليااس، سيدي بلعباس.
- 11 - مداخلة بعنوان " التاريخ كتابته وتدرسه" في اليوم الدراسي بولاية سيدي بلعباس، تحت إشراف مديرية التربية والمؤسسة الوطنية "الطبيي العربي" المنظم بتاريخ 30 أبريل 2015.
- 12 - مداخلة بعنوان "الطفل في زمن الحرب" في اليوم الدراسي بولاية سيدي بلعباس، تحت إشراف المؤسسة الوطنية "الطبيي العربي" المنظم بتاريخ 11 ديسمبر 2016.
- 13 - مداخلة بمتحف ولاية سيدي بلعباس موسومة ب: "مكانة الثورة الجزائرية بين الثورات العالمية" بتاريخ 29 أكتوبر 2017.